تذهيب و زخرفة المخطوطات الدينية
مخطوطات القرآن نموذجا

Illumination and decoration of religious manuscripts
Quran manuscripts as a model

غماز مريم*[1]، أ.د خالدي محمد[2]

[1] مخبر الفنون و الدراسات الثقافية، كلية الآداب و اللغات ،جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان،

Meriem.ghemmaz@univ-tlemcen.

[2] مخبر الفنون و الدراسات الثقافية، كلية الآداب و اللغات ،جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان ،

khaldimohamed40@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2022/03/20 تاريخ القبول: 2022/03/26 تاريخ النشر: 2022/06/04

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة فن التذهيب و زخرفة المخطوطات الدينية، التي نالت اهتمام الحضارات عبر العصور المختلفة اهتماما بالغا ;فاستخدمت أثمن المواد و أجود الخامات ،وارتبط هذا الفن بالدين ارتباطا وثيقا و عبرت به الشعوب عن تقديسها لكلمة الله المنزلة ،و شملت هذه الدراسة نماذج من المخطوطات المضيئة في الديانة اليهودية والمسيحية و التي رغم اختلافها في التعبير و الأسلوب إلا أنها تشابهت في طرح المواضيع و القصص الدينية المصورة و المزخرفة ،و نماذج من فن تذهيب المخطوطات القرآنية و التي اقتصرت على فن الزخرفة نظرا لحظر التمثيل البشري في الفنون المتعلقة بالدين الإسلامي.

كلمات مفتاحية: تذهيب، زخرفة نباتية إسلامية، المخطوطات، المصحف الشريف، إضاءة.

Abstract:

This research aims to study the art of gilding and ornamentation of religious manuscripts, which have received great attention from civilizations through different ages, and this art was closely related to religion, and peoples expressed with it their reverence for the revealed word of God, and this study included examples of illuminated manuscripts in Judaism and Christianity, and examples of the art of gilding Quranic manuscripts, which were limited to the art of decoration due to the

prohibition of human representation in the arts related to the Islamic religion.
Keywords: gilding; Islamic floral decoration; manuscripts; Quran; illumination.

✱ المؤلف المرسل

1. مقدمة

يمثل الفن والدين مجالا قائما بذاته يسمح لنا بدراسة العديد من التخصصات التي تهتم بالتفاعل الإبداعي بين تكوين الصورة والمعنى كأنشطة دينية، يشير الاستخدام العام للمصطلح " **الفن الديني** " إلى الكشف في دور الفن أو مكانه أو خبرته في الدين (الأديان)،كطريقة للتعبير الإبداعي والتواصل وتعريف الذات ;و لذلك مَثل الفن أحد الزوايا الأساسية للوجود البشري والعامل التأسيسي في تطور الدين عند الغرب ،من خلال التعبير والشكل المرئيين، فيتقارب الفن والدين من خلال ممارسة الشعائر وتقديم السرد المقدس ، مما يؤثر على "تجربة العقل" ،يختلف الفن الإسلامي عما سبق في تعامله مع المقدسات الدينية بشكل عام و بشكل خاص في علاقة الفن مع المصحف الشريف لأن الإسلام يحظر تمثيل الشكل البشري أو الحيواني في السياقات الدينية ، فإنه يجد تعبيره الروحي النهائي في فن الخط وإضاءة النص المقدس ،حيث يتم توحيد الاثنين من خلال تصميم صفحة المخطوطات و يعتبر هذا التجميل لصفحات القرآن من أعمال التفاني الديني ،و الزخارف الموجودة على صفحاته لها وظيفة إضافية تتمثل في تسهيل القراءة ومن ثم ;فإن تذهيب و زخرفة القرآن يسلط الضوء على التقسيم البنيوي للنص والنقاط التي يجب أن يسجد عندها المؤمن أثناء تلاوة القرآن.

مشكلة البحث

أثر الفن بشكل واضح على الإنسان و تجلى ذلك في استعماله في مجاله الديني و هذا ما يبدو جليا في المخطوطات التي تركها عبر العصور المختلفة. فكيف ارتبط الفن بالكتب المقدسة و المخطوطات الدينية في الديانة اليهودية و المسيحية و كيف استطاع الفنان المسلم توظيفه في المصاحف وفقا لمعتقداته الدينية ؟

فرضيات البحث

1- ارتبط الفن عند اليهود بجمال النص العبري للوصول إلى التأثير البصري و بواسطة الزخارف في الافتتاحيات للعديد من المخطوطات العبرية.

2- اكتسبت المخطوطات التي تخدم الدين مكانة جد عالية و مهمة في العالم المسيحي فقام الكتبة والفنانون بتزيين النص المقدس و كتب الصلوات و المزامير.

3- تعد المصاحف أبرز المقدسات في الإسلام لذلك اهتم المسلمون بكتاب الله فكتب و زين بالذهب و مختلف الزخارف الإسلامية باعتباره كلام الله المنزل.

4- أثرت فنون الكتاب الإسلامية وخاصة فن التذهيب على إضاءة المخطوطات المسيحية و اليهودية في الفترات المختلفة لهيمنة العالم الإسلامي.

أهداف البحث

1 نسعى من خلال هذا البحث إلى إبراز الدور الذي لعبه فن تذهيب و إضاءة المخطوطات في المجال الديني ،على الرغم من اختلاف الثقافات و الحضارات و الأديان في حقب زمنية مختلفة .

2- التعرف على كيفية استخدام الذهب و الزخارف في المصاحف و كيف تعامل الفنان المسلم معها، و ساهم في ابتكار العديد من الطرق و الأساليب لتزيين بعض الصفحات منه.

3- إمكانية إحاطة المتلقي بالقيمة الحقيقية التي أولاها الإنسان لعبادته و عبر عن تقديسه لدينه و معتقداته باستعماله أرقى الفنون في الكتب المقدسة .

منهجية البحث

تتناول هذه الدراسة مجموعة من المخطوطات الدينية التي استخدم فيها الفن في الديانة اليهودية والمسيحية و الدين الإسلامي ،اعتمدت في عرضها على المنهج التاريخي و المنهج الوصفي.

2. تحديد المصطلحات :

المقدس :

يعرف ابن منظور في كتابه لسان العرب مفهوم المقدس من خلال كلمة قدس ،هو المبارك ،و يشير إلى أن التقديس هو تنزيه الله .[1]

المقدسات الدينية :

هي مجموعة العقائد التي انعقدت عليها نفس الإنسان و ارتبطت بها روحه ،فلا ينفصل عنها ،و تعرف على أنها قوانين شرعية يلتزم بها جميع الناس ،و على العموم فإن لكل أمة ثوابتها و مقدساتها التي لا تقبل المساس بها أو عدم الالتزام بها [2].

المخطوطة : من حيث اللغة ،المخطوطة هي كل ما خُط باليد ،وهي تقابل في المعنى العام المطبوعة ،فما يتم نسخه أو تدوينه باليد فهو المخطوط .[3]

3. إضاءة المخطوطات الدينية في الديانة اليهودية والمسيحية.

1.3 المخطوطات الدينية اليهودية :

نالت الكتب في الديانة اليهودية مكانة مهمة فكتبها كتبة محترفون و وزينت بواسطة الزخارف المتنوعة و قد تم توضيحها بواسطة الصور مما ساهم في زيادة جاذبيتها المرئية و تعزيز قيمتها ، و تعود غالبية المخطوطات العبرية الموجودة إلى العصور الوسطى حيث ساهم الرعاة الأثرياء في الإشراف و الإنفاق على صنعها[4].

يشير الحظر الصارم للفن في الوصية الكتابية الثانية التي تمنعه صراحة في سفر الخروج "لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة مما في السماء من فوق وما في الأرض من أسفل وما في الماء من تحت الأرض. لا تسجد لهم ولا تخدمهم".[5] إلى ندرة المخطوطات اليهودية المزخرفة و المضاءة في نسخ لفائف التوراة و كل ما يتعلق بالنصوص المقدسة قبل هذه الفترة ،و بمرور الوقت ، وخاصة في فترة العصور الوسطى ، رفع الحاخامات والحكماء الحظر و أصبحت رؤيتهم للفن وسيلة لإثراء الروحانية بدلاً من كونها عائقًا أمامها و ذلك لأن التحريم كان يشير فقط إلى عبادة الأوثان لكن اللوحات ثلاثية الأبعاد و المنحوتات بقيت محظورة تماما.[6]

أصبح مفهوم (تجميل الوصية) هو المبرر الأساسي لزخرفة النصوص المقدسة والدينية و أغلفتها، و يؤكد الكتبة اليهود في كل خطوة على قوة الكلمات من خلال زخرفة الأحرف الأبجدية العبرية، سعى الناسخون اليهود إلى تعزيز جمال النص العبري من خلال مجموعة متنوعة من التقنيات و يكمن التأثير البصري أيضًا في الزخارف التي تزين الافتتاحيات (الصفحات الافتتاحية) للعديد من المخطوطات العبرية. و نظرًا لأن الأبجدية العبرية تفتقر إلى الأحرف الكبيرة، فقد قام الكتبة اليهود عادةً بتزيين الكلمات الأولى من النص بدلاً من الأحرف الفردية. و نادرًا ما قام الكتبة اليهود بتزيين الحروف الأولى في محاولة لتقليد الممارسات التي يستخدمها نظرائهم المسيحيين. (صورة 01)

التأثير التجريدي الإسلامي

تم إنتاج أقدم المخطوطات العبرية المزخرفة بين القرنين التاسع والثاني عشر في الشرق الأدنى الإسلامي، وخاصة في مصر وفلسطين. كانت هذه المخطوطات توراتية إلى حد كبير ، والتي تشترك في العديد من الميزات الفنية والأسلوبية مع المصاحف المعاصرة. و كان للنهج الرمزي للإسلام تأثيرا عميقا ودائما على المخطوطات العبرية أُنشئت في بلاد المسلمين. كما أن الأناجيل العبرية في الفترات المبكرة عند اليهود خالية تمامًا من الصور البشرية والحيوانية وكانت زخرفتها وظيفية بشكل فقط تماما مثل المصحف الشريف و نجد هذا التأثير الإسلامي في فن زخرفة و إضاءة التوراة في الكتاب المقدس الأول.[7]

خلال القرن الرابع عشر، تطورت مدرسة مهمة لرسم المخطوطات العبرية في اليمن ، ووصلت إلى ذروتها في النصف الثاني من القرن الخامس عشر. تقدم المخطوطات الباقية من الفترة الأخيرة ، مثل أسفار موسى الخمسة الشهيرة في صنعاء ، مزيجًا من المهارة العالية للعناصر الفنية اليهودية والزخارف الإسلامية على وجه الخصوص ، تتضمن هذه المخطوطة زخارف دقيقة جدا ،وهي عبارة عن نسج حروف صغيرة في تصميمات تجريدية وهندسية وتصويرية .[8]

2.3 المخطوطات الدينية المسيحية

لأكثر من ألف عام ،وفي جميع أنحاء العالم المسيحي ، قام الكتبة والفنانون بتزيين ورسم المخطوطات الدينية لزخرفة النص المقدس وتفصيله، توصف الآن أكثر الأعمال فخامة التي أنتجوها بأنها "إنارة" ، وذلك لتطبيق الذهب أو الفضة والزخرفة المطلية أو المرسومة و التي تعطي سطوعا و إضاءة للصفحات.

إن أكثر أنواع المخطوطات المزخرفة شيوعًا هو كتاب الصلوات ،والذي كان يتألف من صلوات مسيحية تُتلى في ساعات معينة على مدار اليوم ،وهي مزينة بشكل متقن برسوم إيضاحية معقدة ومضاءة.[9]

كانت صفحات "CODEX ARGENTEUS" مصبوغة باللون الأرجواني للدلالة على الموضوع المرتفع، و العمل مكتوبًا ومصورًا بالحبر الفضي والذهبي.و تتم عادة كتابة النص أولاً بالحبر الأسود (أو باللون الذهبي أو أي لون آخر مناسب للموضوع) ، ثم إلى راهب آخر مهمته إضاءة عناوين بالحبر الأزرق أو الأحمر ثم يمرر الصفحة إلى المنور الذي يضيف الصور واللون والإضاءة الذهبية المطلوبة " تتم هذه الخطوات أيضا في فن التذهيب الإسلامي" .[10]

تعد الأديرة من بين المراكز الأولى لإنتاج المخطوطات الأوتونية ،ويكشف الاستخدام الغني للذهب و اللون الأرجواني في هذا العمل وغيره عن الثروة التي تمتلكها مثل هذه المؤسسات الدينية. على الرغم من أن الأحرف الأولى قد أعطيت مكانة بارزة في رسم المخطوطات في العصور الوسطى ، إلا أن الصفحات الأوتونية تعرض تناغمًا رسميًا غير مسبوق و يشد انتباه القارئ إليها. في هذا المثال المميز (صورة)، يُنشئ الإطار المستطيل مساحة محددة بوضوح للحرف الأولي ويعمل كمرساة للكروم الذهبية التي تتشابك مع الحرف C بقع برتقالية وزرقاء داكنة ، تتناقض جميعها مع درجة اللون الأصفر الفاتح للرق. تم العثور على القليل من المخطوطات الأوتونية في المجموعات الأمريكية ، والتي تحظى بإعجاب كبير لجمالها وندرتها.

متوالية السرد في الإضاءة للمخطوطات المسيحية :

في بعض الأحيان، تم دمج فنون الإضاءة في المكان المخصص للنص، كما هو الحال في كتاب قراءات الإنجيل الذي يعود إلى القرن الثالث عشر في الموصل، والذي يتضمن سردًا موسعًا يشمل مشاهد من حياة المسيح ، تسبق الرسوم الإيضاحية النص كما هو الحال في المزامير المصورة حيث تسبق المزامير صور حياة المسيح وآلامه.هناك يقدمون سياقًا وعبادة إضافية ، ويركزون على إبراز رسالته. ظهرت أول تجربة من الصور التمهيدية للنص المقدس في الغرب في كتاب سفر تيبريوس المزامير ،الذي صنع في وينشستر في القرن الحادي عشر.[11] انتشر استخدامها في المزامير الفاخرة في جميع أنحاء العالم المسيحي الغربي. و كذلك المزامير من القرن الثاني عشر في إنجلترا و يعتبر المجلدين بمثابة تذكير بأن الكتب والأشياء الليتورجية أو التعبدية كان لها تداول واسع عند المسيحيين كالهدايا بين الطبقات الثرية و الملوك والأمراء أو كممتلكات تعبدية لشخصية ثمينة.[12] (صورة 02)

4.تذهيب و زخرفة المخطوطات الدينية في الإسلام :

يمكننا تعريف هذا الفن على أنه مجموعة من الزخارف المتنوعة يستخدمها المذهبون و فنانوا الرسم التوضيحي لتزيين جوانب الكتب ،وهوامش الصفحات ،بزخارف الأرابيسك و الزخارف النباتية من الأغصان أو الزهور ،أو أوراق الكتاي موزعة وفقا لتصاميم هندسية مضبوطة لإضافة المزيد من الجمال للكتب الدينية والعلمية والثقافية والتاريخية والأعمال الأدبية أو تزيين جمل من الخط العربي بجميع أنواعه، يوزعها المذهب أو المزخرف وفق المكان المراد زخرفته ،ثم يستعمل اللون الرئيسي و هو الذهب الأحمر و الأصفر و الأبيض و أزرق الكوبالت . إلى جانب العديد من الألوان الثانوية الأخرى مثل ، واللازورد الأبيض ، و الأزرق الفيروزي ، في وقت سابق كان يتم استخدامها بترصيع من المجوهرات. و يسمى هذا الفن أيضا ب التنوير و الإضاءة نسبة إلى لون الذهب و يسمى المذهب بالمنور في إيران وتركيا.

اقتصر استخدام التذهيب على كتابين هما المصحف الشريف والمخطوطات ولاشك أن تعظيم القرآن الكريم كان يجعل كثير من الفنانين يعتنوا بالمصاحف ،"و هناك من يقول أن علي بن أبي طالب هو أول من ذهب مصحفا ،وأن كثيرا من الأمراء بعده نهجوا منواله حيث أتيح للخطاط المشهور محمد بن على الرواندي أن يفخر بمن تلقي عنه فن التذهيب من الأمراء والعلماء ورجال الدين والأدب" [13] وقد استعمل المذهبون الذهب إلى جانب بعض المواد الثمينة كالذهب وحجر اللازورد والورق الفاخر والحرير والكتان نظرا لعناية الأمراء والأغنياء بفن تذهيب المصاحف و المخطوطات،الأمر الذي جعل الإيرانيون يصلون إلى أبعد حدود التوفيق في تحليه الصفحات بالرسوم وتذهيبها و بخط لآيات القرآنية الكريمة .

وقد لعب فن التذهيب دورا هاما في زخرفة المصحف الشريف وكتابة كلام الله ،لكن في بداية ذلك كان هنالك تحفظا من قبل المسلمين ،وذلك لأنه يعتبر نوعا من الإسراف و البعد عن البساطة و هذا الأمر كان غير متعارفا عليه في بدايات الإسلام بحيث أخذ الفن الإسلامي عامة خاصية البعد عن الترف و باعتبار أن الذهب مادة ثمينة جدا و له قيمة كبيرة عند العرب و المسلمين كان هذا الأمر غير مستحبا آنذاك[14].

وقد جاء في مخطوط " شرعة الإسلام " زاده الحنفي و كره بعضهم كتابة القرآن بالذهب و الفضة و تحليته بها فإنه يدعو إليه السارق و الغاصب " [15]ولكن هذا الأمر لم يحد من تطوره حتى وصل إلى أعلى درجات الرقي و الجمال و ذلك بابتكار عدة أشكال و المهارة في التعامل مع مادة الذهب .

وكانت الرسوم المذهبة في المخطوطات بسيطة في البداية وقامت على أساس الزخارف الساسانية والبيزنطية والقبطية ،وعلى ما عرفه المسلمون في كتب المسيحيين من إتباع الكنيسة الشرقية ،وقد تجلى ذلك في اختيار الألوان ،وفي الزخارف الهندسية والنباتية ،ولكنها طورت في سبيل الإتقان وغابت عليها رسوم النجوم المسدسة أو المثمنة ورسوم الفروع النباتية المتصلة ورسوم المراوح النخيلية وأبدع المذهبون في أسلوب جديد ازدهر منذ عصر

السلاجقة ،وقوامه أن تحاط سطور الكتابة بخطوط دقيقة من الزهور و الوريدات الصغيرة جدا[16].

1.4 تذهيب وزخرفة المصاحف في العصور المبكرة :

تعتبر المصاحف أعظم المخطوطات القديمة شأنا و التي تبارى الفنانون في تزيينها و تحليتها بمداد الذهب و إن كانت نصوص القرآن الكريم في غير حاجة إلى تجميل و تزيين ، يعد فن التذهيب في المصاحف من أرفع و أسمى الفنون التي أبدع فيها الفنان المسلم فهو يرتبط بسمو كلمة الله.

جاءت المصاحف التي دونت في صدر الإسلام خالية من التذهيب ،حيث أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يعتنون بحفظه واستظهاره أكثر من عنايتهم بكتابته[17]،فاجمعوا على كتابة المصاحف المجردة من النقط والشكل و التحلية و كذلك مجردة من الفواصل بين الآيات[18]،أما في العصر الأموي لم يكن تجميل المصاحف مقصور على استخدام الذهب فقط ،فقد تعدى ذلك إلى الفضة التي زينت بها صفحات القرآن و من المحتمل أن الكيفية التي اتبعت في تذهيب الصفحات القرآنية لم يكن بطريقة الطلاء بل تمثلت في تراكيب زخرفية من رقائق الذهب ،وهكذا يمكن القول أن استعمال الذهب في تجميل المصاحف بات أمرا مقبولا لدى كبار الفقهاء منهم فقيه الحجاز أنس بن مالك الذي أجاز تحلية المصحف بالذهب.[19]

ويمكن أن تعطينا فترات عديدة من تذهيب المصاحف و زخرفتها أمثلة على عدد آيات هامشية محفورة في دوائر يتم تصوير محيطها بمجموعة الأشكال الشعاعية تُستخدم الدائرة الشمسية أو الشمسة أو "الشمس الصغيرة" أيضًا في الزخارف النجمية ، وأحيانًا تحل محل الوريدات التي تقسم الآيات ،وغالبًا ما تُصنع الوريدات نفسها من الذهب ،من خلال التكرار المستمر لنفس العناصر ،وخاصة السعفة الصغيرة و لذلك كتصوير للإيقاع يرتبط الأرابيسك رمزيا بتلاوات القرآن الإيقاعية [20]،زين كذلك جزء من مخطوطة القرآن بترجمة فارسية وهو معروض في صالة المخطوطات و الخطوط في متحف لاهور بزخارف الأرابيسك و العنوان

بخطوط ذهبية متدفقة وزهور ملونة دقيقة تخلق إيقاعًا و ترمز إلى نور الله ، بإضاءة حلزونية.[21]

2.4 تذهيب المصاحف في الدولة العباسية :

و ما إن حل العصر العباسي حتى ظهرت في الأفق بوادر النهضة الحضارية في مختلف الميادين ازدهرت أنواع الفنون فتسابق الفنانون نحو الإبداع ومن الفنون التي حرص المعنيون على الاهتمام بها صناعة تذهيب الكتب.. و بلغ استخدام الذهب في المصاحف بشكل خاص خلال هذا القرن الرابع مستوى رفيعا خاصة في العراق و ذلك بسبب الاهتمام الكبير الذي أولته الدولة لرعاية المزوقون و المذهبون ،و قد اكتشف المختصون من العرب المسلمين مواد تساعد في زيادة سرعة وثبات و إلصاق الرقائق الذهبية على الورق مثل غراء السمك الأبيض و الصمغ النباتي الذي لا يحتاج سوى ساعة واحدة ليتم اللصق حيث "تنسب بداية فن زخرفة المصاحف باللون الذهبي إلى العصر العباسي" و استمرت عملية تذهيب فواصل الآيات و الأخماس و الأعشار المختلفة الأشكال[22]، و كانت في البداية تستخدم في الزخارف المذهبة عناصر ساسانية و بيزنطية سرعان ما استبدلت بالزخارف النجمية المسدسة و المثمنة و المراوح النخيلية و الفروع النباتية المشبكة..

و يعود الفضل الكبير في تطوير عملية التذهيب في خلال هذه الفترة إلى" ابن البواب"[23] و ذلك لامتلاكه خبرة سابقة في أعمال الرسوم و الزخارف الجدارية استطاع أن يطورها و يجعلها أكثر دقة و اتقانا أثناء اشتغاله بتذهيب المصاحف[24]،ولذلك يمكن القول أن المساحة المذهبة في المصاحف قد اتسعت أكثر فخطت به كلماته و ذهبت زخارفه عبر استعمال مبادئ جديدة اظهر فيها ابن البواب براعة فنية متميزة لم يسبقه غليها أحد ، ومنها استخدامه قلم الذهب في كتابة أوائل السور ... (صورة 03).

أما زخرفة وتذهيب الكتب فيرجع إلى العصر الساساني،وبعد انتشار الإسلام في إيران ،وضع فن التذهيب في أيدي المسلمين والعرب وسمي بفن التذهيب الإسلامي.

وبمتحف المترو بوليتان جزء من مصحف صغير يرجع إلى العصر العباسي ،و أوراقه متفرقة من مصحف أكبر حجما و قد كانت جمالية المصحف بصفة خاصة في هذه النسخة في أربع صفحات محلاة بالزخارف المتشابكة من أشكال الأوراق النباتية والمراوح النخيلية ،ورسمت الزخرفة باللون الذهبي ، ونثرت فوقها بقع من اللون الأحمر والرمادي والأزرق والأصفر ، وحدد الرسم بإطار من اللون البني الداكن ،وغالبا ما تمتد الزخرفة إلى النصوص الكتابية ؛ كما يشاهد في ورقة بديعة أكبر حجما من أوراق النسخة السابقة ، وهي مأخوذة من مصحف مكتوب على الرق ،ومحفوظة بمتحف المتروبوليتان و جرت العادة بزخرفة عناوين السور زخرفة بديعة ،وحصر أسمائها داخل إطار مستطيل يتفرع منه شكل شجرة محورة . وتدل زخرفة عنوان السورة في نسخة المتحف وفي نسخ أخرى من القرآن من القرن التاسع ، على أن هذه الزخرفة من نوع الزخرفة العباسية التي تحتفظ بعناصر كثيرة من الفن الساسانى كالمراوح النخيلية المجنحة.(صورة 04)

3.4 فترة تذهيب الكتب و المصاحف في إيران :

كتابة وتزيين القرآن كان يعتبر واجبا مقدسا خاصة في ظل الدولة العباسية في إيران ،فلعبت دورا مهما في زخرفة حدود و عناوين السور و ارتبط ذلك بتطور المفاهيم التصويرية و الزخرفية الإيرانية خلال أواخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر ،ويتكون التصميم بشكل أساسي من لفائف أرابيسك متشابكة بزخرفة هندسية و مثال على ذلك مصحف الموصل الخاص بالجيتو ، وقد اكتمل حوالي عام 712 هـ / 1312.[25]

خلال العصر السلجوقي ، تطور هذا الفن على أيدي عدة مذهبين و خطاطين متخصصين في تزيين القرآن الكريم ،حتى و صلت تقنياته إلى ذروتها خلال الفترة التيمورية ، و يعود الفضل في ذلك إلى فكرة استدعاء الفنانين والمجلدين والحرفيين من جميع أنحاء إيران بناءا على طلب السلاطين والعاملين في مكتبات العاصمة و ظهرت إثر ذلك أعمالا في منتهى الدقة والإبداع و الإتقان. (صورة 05)

خلال الفترة الصفوية ،كانت عناوين السور والآيات تزين بشكل نموذجي. تدريجيا، أدى اهتمام المسلمين الكبير بالقرآن بالإضافة إلى حبهم لتقديم فنهم في أرقى الأشكال إلى

تركيز الفنانين أكثر في ابتكار نماذج جديدة ، ونتيجة لذلك ابتعدت هذه الأعمال عن البساطة واستخدمت الزخرفة النباتية بأنواعها ،و كانت هذه التقنية متعارف عليها بشكل خاص في المخطوطات المعدة للحكام وغيرهم من المشايخ الكبار .

كان هذا أحد أسباب اهتمام الفنانين الوثيق بالزخرفة و فن التذهيب وتطور تقنياته. و يمكن القول إن الزخرفة أصبحت تعرف بـ "أم الفنون الإسلامية "لأنها قدمت روح الفن الإسلامي على شكل رسومات دقيقة في منتهى الجمال و الفخامة. تمثل رسوماتها ، في جمالها النهائي ، أشكال الأرابيسك المجردة وتعرض مظهرا من مظاهر الروح النباتية على شكل زهرة (هتاي).

4.4 مدرسة تبريز :

في أواخر الثالث عشر وبداية القرن الرابع عشر الميلادي (أواخر القرن السابع وأوائل القرن الثامن الهجري) [26]، كانت «تبريز»واحدة من أكثر المراكز المهمة لتشجيع ورعاية فناني الزخرفة و التذهيب وتوفير كل الظروف الملائمة للتطوير من تقنيات الرسم و التعامل مع الذهب ،خاصة في أوائل القرن الرابع عشر الميلادي ، مما ساعد في جذب المزيد من الاهتمام إلى فن الخط و كتابة القرآن الكريم وغيره من الكتب وزخرفتها ترتب عن هذا الاهتمام إنشاء المدرسة المعروفة باسم مدرسة تبريز ، والتي كان لها تأثير كبير على فن الزخرفة والتذهيب و رسوم المخطوطات العلمية في الفترات التالية، لذلك تعتبر الفترة التيمورية واحدة من أكثر العصور المهمة التي ازدهر فيها هذا الفن.

أصبح السلاطين التيموريون رعاة لفنون الكتاب و بعضهم كانوا خطاطين ومذهبون و مزخرفون، و عاش بعضهم بين عدد كبير من الفنانين اجتمعوا حول الإمبراطورية التيمورية في البلاط ودور العلم وفي المكتبات التي أسسوها[27] .

و في « هرات herat » ،أولى الفنانون اهتماما كبيرا لرسم الأشكال الهندسية والنباتات والزهور والمناظر الطبيعية و صور طيور،و كانت مصاحف هذا العصر من بين أجمل أعمال فن التذهيب و تميزت زخرفة مصاحفهم بألوان الذهب و أزرق الكوبالت فكانت

تستخدم في علامات توضيح الآيات القرآنية والكتب الأخرى، و وصلت فنون زخرفة وتذهيب الكتب ذروتها خلال العصر التيموري واستمرت خلال الفترة الصفوية،و تميزت مخطوطات تلك الفترة بخلفيات زرقاء وكانت الأقسام المخصصة للزخرفة أصغر باللونين الذهبي والأسود. إلى جانب تصميمات زخرفية بألوان عديدة مثل الأبيض والأصفر والأحمر والأزرق الفيروزي والأخضر.[28]

5.4 الفترة العثمانية

ولقد عني العثمانيون عناية فائقة بفن التذهيب وممن اشتهر في هذا العهد "حسن شلي الأحدب" في القرن السابع عشر الميلادي ،ويعد من مشاهير المذهبين ، ،وتوجد بمتحف المترو بوليان نسخة جميلة من القرآن الكريم ترجع إلى القرن الثالث عشر او أوائل القرن الرابع عشر وقد كنت بماء الذهب وها علامات الوقف من اللون الأحمر والأزرق ،وتعد بعض الصفحات نعادي زخرفية رافعة جمعت بين خط النسخ وزخارف التوريق باللونين الذهبي والأزرق .[29]

5. خاتمة:

من خلال هذه الدراسة التي حاولنا فيها التعرف على أحد الفنون المهمة و التي تشارك في الاهتمام بها مختلف الطوائف الدينية في فترات مختلفة من التاريخ ، منحت لهذا الفن قيمة عالية و وضعت لخدمته ثروة كبيرة ،فنتج عن ذلك إرث إنساني يضحى بمكانته عالميا، وهو ما تلمسه عدة أجيال بين الماضي واللحظات الراهنة ،ويرجع السبب وراء ذلك الاهتمام إلى أهمية الدين و الفن في حياة الإنسان.

- شكل الفن رغم حظره في الديانة اليهودية عنصرا مهما في تجميل الكتب المقدسة فاستخدم في مجموعة متنوعة من المخطوطات العبرية ،متمثلا في طريقة ربطه بإضاءة المخطوطات اليهودية التوراتية ، كما اشتركت جميع المخطوطات في التركيز على النص في حدود الأسس الدينية للتعبير الفني في الكتاب المقدس ، و اختلفت في الأساليب بين المخطوطات المنتجة في الشرق الأدنى وتلك الموجودة في أوروبا و لعب لتأثير الفني الإسلامي دورا كبيرا في

العالم اليهودي في الشرق .أما في الديانة المسيحية فكان فن الإضاءة و زخارف الكتب المقدسة يشمل كتاب الصلوات ،و زخرفة الحروف الأولى كما يتضمن الصور التي تسرد حياة المسيح و العذراء .

- ربط الفنان المسلم فن التذهيب و الزخارف النباتية و الهندسية بكتابة المصاحف بداية من استعمال الذهب كمعدن مع الأحجار الكريمة وصولا إلى ابتكار العديد من الطرق لكتابتها وزخرفتها بمداد الذهب و الألوان النادرة ،لينشأ بذلك فنا قائما بذاته نتيجة إتقانه و حرصه الشديد على كتابة المصاحف في أبهى صور و يرتبط رمزيا بنور كلمة الله و بالنور و الحقيقة الخالدة، و هو يعبر عن التقديس الكبير للقرآن و القيمة الحقيقية لفن التذهيب و ذلك من خلال اختيار المواد الثمينة المستخدمة في صفحات المصحف الشريف.(صورة 06)

6. قائمة المراجع

[1] ابن منظور، لسان العرب، 2008، بيروت ، دار الفكر للطباعة والنشر، ص.168.

[2] Evans, Matthew T. Sep 2003, The Sacred: Differentiating, Clarifying and Extending Concepts. N°1, Vol. 45, Review of Religious Research, Springer. PP32-47.p. 28. https://doi.org/10.2307/3512498.

[3] أحمد زكي، الحضارة الإسلامية،دار القلم للطباعة والنشر،بيروت ،لبنان ،2021،ص 56.

[4] Abraham Rechtman,The Lost World of Russia's Jews,Indiana University Press, 2021,P 33.

[5](Exodus 20:4; Deuteronomy 5:8)

[6] Aaron Koller, Iran, Israel, and the Jews: Symbiosis and Conflict from the Achaemenids to the Islamic Republic,Wipf and Stock Publishers – Iran ,2019,P 263.

[7] Colum Hourihane, The Grove Encyclopedia of Medieval Art and Architecture, Volume 2, Oxford University Press, 2012,P 508.

[8] D E Buckner, Reference and Identity in Jewish, Christian, and Muslim Scriptures: The Same God?, Rowman & Littlefield, 2020,P 70.

[9] Nicolas Bell, Music in Medieval Manuscripts,University of Toronto Press, 2001,P 39.

[10] Joan M. Reitz, Dictionary for Library and Information Science, Libraries Unlimited, 2004, P 348.

[11] thomas Krenn, Masterpieces of the J. Paul Getty Museum: Illuminated manuscripts,Getty Publications,1997,P 09.

[12] Evangelia Balta, Cries and Whispers in Karaman lidika Books, Otto Harrassowitz Verlag,2010, P 45.

[13] حنان عبد الفتاح ،الفنون الإسلامية الإيرانية والتركية ،مرجع سابق،ص 45.

[14] شادية الدسوقي عبد العزيز ،فن التذهيب العثماني،ط1،القاهرة دار القاهرة،2002،ص 09.

[15] عبد العزيز مرزوق ،المصحف الشريف دراسة تاريخية فنية ، مطبعة لمجمع العلمي العراقي 1970،ص .44

[16] حسن قاسم حبش،رحلة المصحف الشريف من الجريد إلى التجريد،ط1،بيروت دار القلم ،2016،ص .161

[17] محمد قاسم ،علوم القرآن و مناهج التفسير ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ،2014،ص .81

[18] مراد حسان ،تاريخ الخط العربي بين الماضي و الحاضر ،الدار الجماهرية ،2003، ص 88.

[19] محمود عباد ،خط وتذهيب و زخرفة القرآن الكريم حتى عصر ابن البواب ،المنهل ،2013، ص 236-239.

[20] Vincent Cornell,Voices of Islam: Voices of art, Greenwood Publishing Group ,London, 2007، P 43.

[21] Nomana Zaryab, Documentation of Illuminated Qur'anic Manuscript and its Impact on the Social System of the Subcontinent, Journal of Political Studies, Issue 1,P 283.

[22] نعمت إسماعيل ،فنون الشرق في العصور الإسلامية ،دار المعارف ،1974 ،ص 41.

[23] أحمد سيد ،ألف معلومة عن اللغة العربية و آدابها،دار الفضيلة للنشر و التوزيع ،2013،ص 20.

[24] هلال ناجي ،ابن البواب عبقري الخط العربي عبر العصور ،دار الغرب الإسلامي ،1998،ص 23.

[25] Yuka Kadoi, Islamic Chinoiserie The Art of Mongol Iran, University Press Ltd, 2009,P 246.

[26] عبد العزيز حميد ،خط المصحف الشريف و تطوره في العالم الإسلامي ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان،2020 ، ص 408.

[27] ديماند ،الفنون الإسلامية ،ترجمة:أحمد محمد عيسى ،دار المعارف،ط3 ،القاهرة ،1982 ،ص 57.

[28] المرجع نفسه ،ص 61.

[29] المرجع نفسه ، ص 91.

7. ملحق الصور

صورة 01 : الكتاب المقدس لشبونة ، 1483م

E. Michael Gerli, Medieval Iberia: An Encyclopedia,P 116

صورة 02 : الصفحة 63 من كتاب الصلوات ، حوالي 1460-1465م

Antoine de Schryver, The Prayer Book of Charles the Bold,P 253

صورة 03 : مصحف ابن البواب

صورة 01 : مصحف ابن البواب

صورة 04 : مصحف من العصر العباسي

Islamic calligraphy, Annemarie schimmel with the assistane of Barbara rivolta .

صورة 05 :مخطوطة قرآنية من إيران 830 هـ / 1427 م

The Islamic Manuscript Tradition Edited Christiane Gruber P45.

صورة 06 : فاتحة الكتاب (مصحف من العصر العباسي)

Contemporary Islamic Graffiti: The New Illuminate